

طبيعة البروفيل النفسي الاجتماعي لدى الطفل الجزائري المنحرف

The nature of the psychosocial profile of the deviant Algerian child

د. علام سليمة Dr Alem Salima	علم النفس العيادي	كلية العلوم الاجتماعية/ جامعة الجزائر (2) أبو القاسم سعد الله/ الجزائر
alemsalima@yahoo.fr		
DOI: 10.46315/1714-010-003-021		

الإرسال: 2020/06/16 القبول: 2021/01/02 النشر: 2021/06/16

ملخص: أجريت هذه الدراسة بهدف معرفة الخصائص النفسية والسيكوباتولوجية عند الأطفال المنحرفين المتواجدين بمراكز إعادة التربية، من أجل تصميم برامج إعادة التربية وإعادة التأهيل تتناسب مع احتياجاتهم النفسية.

وقد اعتمدنا على المنهج العيادي، واستخدمنا تقنيتين تمثلتا في المقابلة العيادية نصف الموجهة واختبار قياس التنشئة الاجتماعية عند الطفل والمراهق (TSEA)، حيث تم تطبيقهما على مجموعة تضم عشرة أطفال. وتم التوصل إلى مجموعة من الخصائص النفسية للحالات التي تميزت ببروفيل نفسي اجتماعي من نمط الكف الذي يعني عدم القدرة على التعبير عن الحياة النفسية الداخلية من وجدانات وهومات وتصورات، بالإضافة إلى عدم قدرة هؤلاء الأطفال على الاندماج الاجتماعي، كما تبين لنا أنهم يعانون من صعوبة في التعبير الوجداني وكذا لجوئهم إلى التفرغ السلوكي بدلا منه.

كلمات مفتاحية: البروفيل النفسي الاجتماعي؛ الطفل؛ الانحراف.

Abstract: The aim of the study was to find out the psychological and psychopathological characteristics of the deviant children who live in the re-education center, in order to design a Re-education and rehabilitation program that goes with their psychological needs.

We adopted the clinical approach, and we used two techniques represented in the semi-directed clinical interview and the Test of Measuring the Socialization of the Child and Adolescent (TSEA), which were applied to a group of ten children. The results revealed a number of characteristics pertaining to the cases which have an inhibited psycho-social type of profile that means the inability to verbalize about the internal psychological state of the person concerning emotions, fantasies and representations. Furthermore, those children are incapable of social integration, and it also appears to us that they have difficulties in expressing their emotions. This is why they recur to the acting out and psychological discharge as an alternative.

Keywords : psycho-social profile ; child, deviance.

مقدمة:

تعدّ مرحلة الطفولة أهمّ مرحلة في حياة الكائن البشري، فمن خلالها تتشكل شخصيته بأبعادها المختلفة المعرفية، الانفعالية والسلوكية، وهذا التشكل يخضع لاعتبارات تتصل بذات الطفل من جهة من حيث استعداداته وقدراته وفعاليته واستجابته للمؤثرات، ومن جهة أخرى لنوعية هذه المؤثرات التي يتلقاها من محيطه.

و من القواعد المتفق عليها أنّ صحّة النّفس تستمدّ من العلاقة الحارّة الوثيقة الدّائمة التي تربط الطّفل بأمّه، خلال مراحل حياته المختلفة، حيث أنّه يحتاج في نموّه النّفسي وباعتباره كائنا اجتماعيّاً إلى إشباع حاجات نفسيّة أساسيّة عنده، إذ أنّ شخصيّته تتأثّر تأثراً كبيراً بما يصيب هذه الحاجات أو بعضها من إهمال أو حرمان.

وقد ثبت علمياً أنّ أي اضطراب في هذه العلاقة يؤدّي إلى عواقب خطيرة على صحّة الطّفل العقليّة، النفسيّة، الاجتماعيّة والتي تصاحبه بقيّة عمره، فشراسة الخلق، القسوة، الحقد، وما إلى غير ذلك تنغرس في نفوس الأبناء الذين حرّموا من علاقة متوازنة مع أمّهاتهم، فيشرب هؤلاء الأطفال شاذّين عن المجتمع، يميلون للانحراف عن نظام الأئمة ومعاييرها (إجلال، 2003).

لذلك فإنّ انحراف الأطفال من أهمّ الظواهر الاجتماعيّة والنفسيّة التي تناولها الباحثون منذ زمن بالدراسة من جوانب متعدّدة من حيث السببيّة والرعاية، نذكر على سبيل المثال الباحث نوار الطيب من جامعة عنابه الذي أجرى دراسة تحت عنوان "دراسة انحراف الأحداث في الجزائر، أسسها وطرق علاجها"، عام 1999 في إطار التحضير لرسالة الماجستير. نظراً لأنّ مشكلة الانحراف من المشكلات التي تزداد تفاقماً لأنّها راجعة إلى انشغال الأمّهات والآباء عن توجيه الرعاية والإشراف الدقيق على أبنائهم. وهذا ما توصّل إليه باحثين سابقين متخصصين في مجال الانحرافات والأمراض النفسيّة أمثال إريك إريكسون (Erik Erikson) وسيرل بيرت (Cyril Burt) وأبوت (Abbot)، حيث أنّهم أثبتوا أنّ اضطراب العلاقات الأولى المبكّرة مسؤولة عن تكوين الكثير من الشخصيّات المنحرفة، التي لم تنشأ عندها علاقات إنسانيّة حقيقيّة ومتّزنة، لأنّها لم تختبر علاقات اجتماعيّة وعاطفيّة سليمة في جماعات أوليّة (بوفولة، 2010).

1. الإشكالية:

لقد اهتمت المنظّمات العالمية في وقتنا الحاضر اهتماماً كبيراً بتربية الطفل وقد أصدرت الأمم المتحدة إعلاناً بحقوقه عام 1958م، وازداد الاهتمام عندما خُصّص عام 1979م عاماً دولياً له، وأتبع هذا الاهتمام أيضاً تبيان أهمية تربية الطفل وخاصّة في مرحلة ما قبل المدرسة الابتدائية، وأثر هذه التربية على مستقبل حياته، حيث أنّ لهذه التربية أهمية كبرى في إعداد الطفل وتنشئته التنشئة السليمة (حسان، 1986، ص 72).

وقد تعامل العلماء مع الطفولة من جميع الجوانب الجسميّة، البيولوجيّة، النفسيّة، الاجتماعيّة باعتباره مرحلة هامة من مراحل العمر الإنساني، محاولين الكشف عن مراحل وتطور النمو الإنساني من جميع جوانبه، للوصول إلى أفضل الوسائل التي تُمكن من تدعيم أساس الشخصية في تلك المراحل المبكّرة، بهدف تحقيق أفضل مستوى ممكن من الصحّة النفسيّة للطفل ليتمكن من أن يكون فرداً نافعا لمجتمعه في المستقبل.

و توصلوا إلى أن الأم هي العامل الأول الأساسي وأنها نقطة انطلاق الطفل وحجز الزاوية في تطوّر نموه، فهي بالنسبة له الملبّي الأول لكل ما قد يحسّ به من حاجة ورغبة، حيث أنّ علاقة الطفل الأولى بأمه إذا ما كان فيها إشباع، ستكون هي النموذج الذي يُحتذى به في تكوين علاقات مع الغير، أمّا العامل الثاني فهو عملية التقمص التي تساعد الطفل على أن يمتص معايير الآباء ويحكمها في نفسه لتكوين الأنا الأعلى، وفي هذا الصدد أشار فرويد إلى أنّ التجارب والخبرات التي يمر بها الفرد في المرحلة الأولى من حياته، هي التي تحدّد مسار نموه، ومستقبل حياته (مصباح، 2003).

وفي حالة ما إذا اعترض النمو النفسي والاجتماعي للطفل عراقيل سواءً من خلال فقدانه لأحد والديه، وخاصة الأم أو تعرّضه لخبرة أليمة في مرحلة مبكرة من حياته، فإنّه سوف يُصاب بهزّة عاطفية والتي لها تأثيرها السّالب على صحّته النفسية فيما بعد في المراحل اللاحقة من حياته.

و استناداً إلى ذلك نجد سبيتز (R.Spitz) (بدون تاريخ)، الذي توصّل من خلال دراسته التي أجريت على الأطفال الذين قضوا السنة الأولى من حياتهم في مؤسسات، إلى أنّ انعدام التفاعل الاجتماعي والعاطفي بين الأم والطفل تؤدّي إلى عدم انتظام النمو وتقدّمه في النواحي الانفعالية والاجتماعية وإلى ظهور استجابة غريبة مفارقة للمألوف (عبد السلام، 1993).

كما "توصلت دراسات أيسلر (Eissler) وفريد لاندر (Friedlander) وأشاورن (Achor) أنّ تصرّفات الفرد تحدّد في الغالب بتجارب الطفولة الأولى" (السيد، 2009، ص. 696). ومن ثمّ فإنّ معظم اضطرابات السلوك التي يعاني منها الطفل تحدث كرد فعل لما يعانيه من الحرمان، وخاصة من الرعاية الوالدية خلال مراحل نموه فيلجأ إلى أنواع أو أنماط من السلوك اللاتوافقي، ومنها السلوك العدواني، الانسحاب، الانطواء على النفس، أو ممارسة العادات السلوكية السيئة كالتخريب.

و ممّا سبق يتبين لنا أهمية العلاقة بين الطفل وأوليائه وخاصة مع أمّه عبر مراحل نموه حيث أنّ أي خلل في هذه العلاقة يكون لها عواقبها الوخيمة والخطيرة على نمو وصحة الطفل النفسية والعقلية، فقد يصبح الطفل مريضاً عقلياً أو نفسياً أو اجتماعياً ومن الأمراض التي قد يصاب بها هي الهذيان والتي تشمل الفصام، الهوس، السوداوية، أو العصاب والذي يضمّ الفوبيا، الهستيريا، الوسواس أو السيكوپاتيا التي تتمثل في جميع أشكال الانحراف (بوفولة، 2010).

وهكذا فإن الانحراف يمكن أن يبدأ في أيّ مرحلة من مراحل النمو، هذه الظاهرة التي تهدّد أمن واستقرار المجتمع، وهي كمشكلة تعاني منها جميع المجتمعات المتقدمة والنامية على حدّ سواء، فلا يوجد مجتمع يخلو من انحراف الصغار.

وقد تمّ تفسير الانحراف من الجانب النفسي التحليلي حيث توصّل العلماء إلى أنّ العجز عن التكيف مع الواقع يسبّبه عدم التوازن الداخلي فحسب بيرون (Perron,1996) فإنّ عددا من حالات اللاتكيف التي تلاحظ على المستوى السلوكي، تدلّ على خلل في التوازن الداخلي الذي هو المسبب الأكثر بروزاً لها.

ومن هنا فإنّ عدم التكيف الذي يتّسم به المنحرفون سببه خلل في التوازن الداخلي الناتج عن عدم قدرة الأنا على مجارة الوضعيات الصراعية نظراً لهشاشته، وفي هذا الصدد يتحدّث ك. فريدلاندر (K.Friedlander) (1951)، أن هؤلاء الأحداث المنحرفين يتمتّعون بأنا غير قادر على مواجهة مبدأ الواقع، وهذا راجع إلى الحرمان من الأم الذي يلعب دوراً في عدم نمو الأنا، وأن اضطراب نمو الأنا الأعلى وخلوه من القيم والأوامر والنّواهي، وكذا خلوه من قلق العقاب يساعد على الجناح والانحراف.

ومن هذا المنطلق تمّ تبيان أن هناك علاقة وطيدة بين المراحل الأولى لنمو الطّفل وظهور الانحراف، وقد وضّح ذلك المحلّل النفسي فرويد (Freud) بقوله أنّ الاضطراب في الشخصية هو نتيجة كبت عنيف في الطفولة المبكّرة مع إحباط شديد في الكبر. وأن العامل المسبب الأساسي هو الاضطراب العاطفي في عهد الطفولة المبكرة، فالانحراف يعبرُ بطريقة رمزية عن العقد النفسية التي تكوّنت في الطفولة بطريقة لا شعورية، فحالات السرقة القهريّة ترمز إلى انتزاع الحب والحصول على العطف في صورة الشيء المسروق، حيث تعوّضه عن الفرد الذي لم يتمكن من تملكه وهو الأم (Smirnoff, 1968).

و في دراسة صمّمها الأخصائي النفسي الأمريكي لورس (Lourss) على مجموعة من أطفال إحدى المؤسسات بلغت 22 طفل ألحقوا بها عندما كان عمرهم أقلّ من عام، وقد ترك هؤلاء الأطفال في المؤسسة حتى بلغت أعمارهم خمس سنوات أين أُجريت عليهم مجموعة من الاختبارات والفحوص النفسية، فتبيّن أنّهم مصابين باضطرابات نفسية أخذت مظاهر متعدّدة هي : عدوانية، أنانية، الكذب، تبول ليلي صعوبات في الكلام (Hanigan, 1997).

كما هدف ايكهورن (A.Aichorn) بدوره البحث في هذا المجال لمعرفة العمليات النفسية التي تؤدي إلى سلوكيات انحرافية وحددها فيما يلي : الصراع النفسي بسبب العجز عن التوفيق بين الرغبات اللاشعورية والواقع، مشاعر النقص والدونية، الإحساس اللاشعوري بالذنب، الحرمان العاطفي، القسوة في المعاملة.

وفي دراسة قام بها كازي (casier) على سيكوباتيين منحرفين، وجد لديهم ما يلي: غياب العواطف (Inaffective)، غياب روابط عاطفية ثابتة، لا أخلاقية، اندفاعية، هوس الكذب

(Mythomanie)، سلوكات تلقائية شاذة تكشف عن عدم نضج غرائزي، فقر هوامي وعدوانية (Balier, 2003).

ومن ثمّ يتبيّن لنا من خلال هذه الدراسات أنّ المنحرفين يشتركون في خصائص نفسية معينة، والتي نتجت عن عدم إشباع حاجات في فترات مبكرة من الحياة، إلّا أنّنا في هذا البحث سنسعى لتحديد الخصائص النفسية بالاعتماد على الأسلوب المستخدم من طرف المبحوث لمواجهة الوضعيات الاجتماعية المختلفة، وهذا ما سنحاول التوصل إليه من خلال الكشف عن طبيعة البر وفيل النفسي الاجتماعي لدى هذه الفئة، للتمكّن لاحقا من بناء برامج علاجية تتناسب مع خصائصهم النفسية الاجتماعية.

وعلى ضوء ما سبق يمكن طرح التساؤل التالي:

■ ما هي طبيعة البر وفيل النفسي الاجتماعي عند الطفل الجزائري المنحرف؟

2. الفرضيات:

1.2 الفرضية العامة:

■ نتوقع ظهور خصائص معينة في البر وفيل النفسي الاجتماعي لدى الطفل الجزائري المنحرف.

2.2 الفرضيات الجزئية:

1. نتوقع أن يظهر الطّفل الجزائري المنحرف خاصية الدّفاع عن طريق تجنّب الوضعيات الاجتماعية..

2. نتوقع أن يظهر الطفل الجزائري المنحرف خاصية عدم القدرة على الدّفاع في الوضعيات الاجتماعية.

3. نتوقع أن يظهر الطفل الجزائري المنحرف خاصية صعوبة اندماجه في الوضعيات الاجتماعية.

3. الإطار النظري والمفاهيم الأساسية للدراسة:

1.3 - النمو النفسي الاجتماعي:

1.1.3- التعريف الاصطلاحي:

عرّفه إريكسون أنّه عملية تطوريّة تعتمد على أحداث ذات تتابع ثابت في المجال البيولوجي والنفسي الاجتماعي (مصطفى عبد المعطي، 2001، ص.22-23).

وعلى هذا الأساس قسّم دورة الحياة إلى ثمانية مراحل، كلّ مرحلة تبني على المراحل السابقة، كما تؤثر على المراحل اللاحقة، ويعبّر اريكسون عن ذلك بقوله " إنّ كلّ مرحلة تضيف شيئاً محدداً للمراحل التالية وتخلق صورة جديدة للمراحل السابقة (ميللر، 2005).

ويحدد اريكسون ثلاث متغيرات أساسية تؤثر في عملية النمو هي:

أ- القوانين الداخلية للنمو:

ومثلها في ذلك مثل العمليات البيولوجية غير قابلة للارتداد.

ب- التأثير الثقافي:

يحدّد المعدّل المطلوب من النمو وينحاز إلى بعض مظاهر النمو على حساب البعض الآخر.

ج- الفروق الفردية في النمو:

أي الاستجابة الفطرية التي تميّز كلّ فرد من غيره وأسلوبه المميّز في النمو كاستجابة لمطالب بيئته (هنري وماير، 1981).

ومن ثمّ فإن كلّ شخص لا بدّ وأن يمرّ بجميع المراحل سواء تخطّى المراحل الأولى بصورة جيدة أم لا، ولكن ما هو صحيح بالتأكيد أنّ النجاح في المراحل المبكرة يؤثر على فرص النجاح في المراحل اللاحقة (السيد عبد الرحمان، 2001).

2.1.3- التعريف الإجرائي:

هو تلك النتائج التي تتحصّل عليها من خلال اختبار (TSEA) والتي تتمثّل في الاندماج، عدم القدرة على الدّفاع، الدّفاع عن طريق التجنّب.

2.3- الطفل المنحرف:

1.2.3- التعريف الاصطلاحي:

هو ذلك الطفل الذي يقوم بسلوكات تتعدّى المعايير المتفق عليها في مجتمع معيّن (Postel, 1998, p.147)، لأنه لم تتوفر له ملكة الإدراك والاختيار لقصور عقله عن إدراك حقائق الأشياء واختيار النّافع منها، ولا يرجع هذا القصور في الإدراك والاختيار إلى علّة أصابت عقله، وإنما مردّ ذلك عدم اكتمال نموّه نتيجة لمعاناته وصراعاته النفسية اللاشعورية التي تدفعه لا إراديا لارتكاب هذا الفعل الشاذّ كالسرقة أو العدوان أو الكذب (معوّض، 1997). بالإضافة إلى ضعف قدراته الذهنية، فبسبب وجوده في سنّ مبكرة فإنه ليس باستطاعته وزن الأشياء بميزانها الصحيح وتقديرها حقّ التقدير، ولذلك يرتكب أفعال تخالف أنماط السلوك المتفق عليه للأسوياء في مثل سنّه والبيئة ذاتها (جلال الدين، 1999).

2.2.3- التعريف الإجرائي:

هو ذلك الطفل الذي لا يتعدى 12 سنة، الماكث في مؤسسة جزائرية لإعادة التربية بسبب قيامه بالانحرافات الآتية: التسوّل، استهلاك المخدرات، العدوانية، السرقة، الانحرافات الجنسية، التشرّد.

4- منهج البحث:

بما أن البحث الحالي من البحوث النفسية التي تهدف إلى دراسة الإنسان كوحدة كاملة لا تتجزأ، من خلال صراعاته، انشغالاته، توقعاته وميولاته العادية و/ أو المرضية، ونظرا للأهداف التي نسعى لتحقيقها والمتمثلة في معرفة الخصائص النفسية والسيكوباتولوجية عند الطفل المنحرف، ومن خلال التساؤلات التي نسعى للإجابة عنها، يمكننا القول بأنّ المنهج العيادي القائم على دراسة الحالة هو الأنسب لهذه الدراسة

1.4- الإطار الزمني والمكاني للبحث:

خلال التريّص الذي دام ستة (06) أشهر لسنة 2013 تم اختيار ودراسة خصائص مجموعة البحث المنتقاة من مؤسسة إعادة التربية بالأبيار المتخصصة بإعادة تأهيل وإدماج الأحداث المنحرفين،

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المؤسسة تتكفل برعاية الأحداث المنحرفين الذين تتراوح أعمارهم ما بين 8 و14 سنة، بطاقة استيعاب 80 حدث، إلا أنّه حالياً يتواجد بها حوالي 40 حدث فقط، حيث أنّهم يتلقّون رعاية شاملة تحت إشراف مجموعة من المؤطّرين والمرتبّين، وهم كالاتي: مدير المركز، مربّي رئيسي، مساعد المربّي الرئيسي، 4 مختصّين نفسانيين، طبيبة عامّة، 9 معلّمين يدرّسون الطور الابتدائي، 8 مربّين مقسّمين على الأفواج، أعوان الإدارة والأمن والنظافة.

2.4- مجموعة البحث:

لقد شمل البحث عشرة (10) أطفال منحرفين متواجدين بمؤسسة إعادة التربية بالأبيار، الجزائر، وقد كان اختيارنا لهم حسب المعايير التالية:

1- السلوك المنحرف: ينتمي الطفل إلى مجموعة بحثنا إذا قام بسلوك منحرف أدخل

بسببه إلى المؤسسة.

2- السن: لكي ينتمي الطفل إلى مجموعة بحثنا يجب أن لا يتعدى عمره 12 سنة.

3- الجنس: تقتصر مجموعة البحث على الذكور فقط.

وفيما يلي سنقدّم الجدول الآتي الذي سيوضح لنا خصائص مجموعة البحث.
جدول رقم (1) أهم خصائص عيّنة البحث .

الرقم	الحالات	المستوى الدراسي	السلوكات المنحرفة
01	حسام	السنة الرابعة ابتدائي	السرقه، التشرد، الضرب والجرح، التدخين.
02	عادل	السنة الرابعة ابتدائي	الاعتداءات الجنسية، العدوانية، التشرد
03	علي	السنة الأولى متوسط	استهلاك المخدرات، التشرد، انحراف جنسي
04	أمين	السنة الرابعة ابتدائي	العدوانية، السرقه، التشرد، التدخين
05	منير	السنة الخامسة ابتدائي	استهلاك المخدرات، التسول
06	رامي	السنة الخامسة ابتدائي	السرقه، استهلاك المخدرات، انحرافات جنسيّة
07	فانح	السنة الأولى متوسط	التشرد
08	إسحاق	السنة الثالثة ابتدائي	الكذب، التشرد
09	إسماعيل	السنة الخامسة ابتدائي	السرقه، التسول
10	فريد	السنة الأولى متوسط	العدوانية، التدخين، استهلاك المخدرات

3.4 - الأدوات المستخدمة في البحث:

1.3.4- المقابلة العيادية:

تمّ استخدام المقابلة العيادية النصف موجهة بغرض التقرب من المبحوث، وكذا بهدف خلق جوّ من الارتياح وكسب الثقة، لنتمكّن لاحقا من تطبيق الاختبار الاسقاطي.

2.3.4- اختبار قياس التنشئة الاجتماعية عند الطفل والمراهق (TSEA):

1.2.3.4 - تقديم الاختبار:

يعتبر من أهمّ الاختبارات الإسقاطية، الذي يستخدم على نطاق واسع في أعمال العيادات النفسية، وفي دراسة الشخصية.

وهو يسمح بتقييم التجربة الذاتية للطفل وكذا المراهق في سياقات علائقية عائلية واجتماعية، مع العلم أن هذا الاختبار يطبّق أيضا على الأطفال الذين يعانون من إعاقة سمعية (ثقل السمع). وهو يحتوي على عشرون (20) لوحة، تعرض مشاهد من الحياة، حيث نجد في البعض من هذه المشاهد أفرادا يضعون أجهزة سمعية حول الأذن، في الغالب لا يدركها الأطفال العاديون.

وعلى العموم فإن هذه اللوحات مرسومة قصدا بصفة غامضة، حتى يستطيع المفحوص إسقاط ما بداخله وبالتالي ترك المجال للتأويلات المختلفة.

وللتحليل يتم الاعتماد على شبكة الفرز، وتحليل المحتويات اللفظية إذ أن كل هذا يسمح بإعطاء ثلاثة أبعاد سيكولوجية مرتبطة بوضعيات التنشئة الاجتماعية وهي كالآتي: الاندماج، عدم القدرة على الدفاع، الدفاع عن طريق التجنب.

وعليه فإن هذه النماذج الثلاثة تعكس الاستجابة الذاتية للمفحوص اتجاه مختلف الوضعيات الاجتماعية، وانطلاقا من تلك النتائج يستطيع الفاحص استنتاج الأسلوب المستخدم من طرف المفحوص لمواجهة الوضعيات الاجتماعية الحقيقية.

إذن هذا الاختبار يسمح للأخصائي النفسي بتقدير كفاءة إدراك المفحوصين لوضعيات التنشئة الاجتماعية، وبالتالي مساعدتهم على التكيف (Matar.V. Tauma & Virol, B, 2008).

2.2.3.4- طريقة التطبيق:

تطبيق اختبار (TSEA) يكون مسبقا بمقابلة عيادية يتم فيها تحضير المفحوص وإعلامه بطبيعة الاختبار.

وعند التطبيق يجب أن تكون وضعية الفاحص والمفحوص وجها لوجه، ويقوم الفاحص بوضع اللوحات على يساره، حيث يجب أن تكون مرتبة الواحدة فوق الأخرى من 1 إلى 20، بحيث يكون الرسم للأسفل (بمعنى يجب أن تكون اللوحة مقلوبة).

وبعدها يقوم الفاحص بإعطاء التعليمات في كل مرة يقدم فيها لوحة للمفحوص، والتعليمات تكون كالآتي: "أنظر جيدا إلى هذه الصورة واحكي لي قصة" (Matar.V. Tauma & Virol, B, 2008) (p.2-3).

ومن ثم يقوم المختص العيادي بتسجيل استجابة كل لوحة، مع الوقت الكامن والكلي الخاص بها، وتجدر الإشارة إلى أن هذا الاختبار يطبق على الأطفال ابتداء من عمر 5 سنوات حتى سن المراهقة 18 سنة.

3.2.3.4- طريقة التحليل:

1- التحليل الكمي:

بعد تمرير لوحات اختبار (TSEA) يقوم الفاحص بالتحليل الكمي لمختلف الخطابات المنتجة من طرف المفحوصين عن طريق اللوحات، حيث يقوم بوضع علامة (X) في إحدى الخانات الآتية: الإدماج (I)، الكف (H)، التجنب (EC)، ويكون وضع العلامة على أساس معايير محددة وهي كالآتي:

أ- إدماج الوضعيات الاجتماعية (I):

من أجل وضع علامة في الخانة (X) يجب توقّر المعايير الآتية: تجانس القصة، تحديد الجنس واختلاف الأجيال، تحديد الإطار المكاني، وجود تفاعل بين الأفراد.

ب- الكفّ (H):

الإجابة تنقُط (H) إذا وجد على الأقل معيارين ممّا يلي: قصة غير متكاملة، عدم تحديد هوية الأفراد، غياب الإطار المكاني، غياب التفاعل بين الأفراد.

ج- الدفاع من خلال التجنّب (EC):

الإجابة تنقُط (EC) إذا توقّرت أحد المعايير الآتية: التشبّث بالمحتوى الظاهر بأدقّ تفاصيله مع غياب التفاعل الحركي، وعدم إدراك اختلاف الأجيال، رفض الإجابة، إعطاء تعاليق حول الأداة بعيدة عن محتوى اللوحة، إعطاء إجابة إسقاطيّة ليس لها علاقة بمحتوى اللوحة (Matar.V, Tauma & Virol, B, 2008 p.8)

و من ثمّ فإن مجموع العلامات هو الذي يحدّد البروفيل النّفسي الاجتماعي للمفحوص. وتجدر الإشارة إلى أن مجموع الأجوبة المعطاة من طرف المفحوص والتي نقّطت على أنها " (I) أو (H) أو (EC) يمكن أن تكمل بـ (a) إذا كان هناك تعبير انفعالي في الخطاب، وأيضا يمكن إضافة (c) إذا كان الخطاب يحتوي على حركة " (Ibid, p7).

II- التحليل الكيفي:

"بعد تنقيط الإجابات المختلفة وحساب المجموع، يتم تحليل نتائج الاختبار بطريقة كفيّة ويكون ذلك من خلال الاستعانة بشبكة الفرز" (Ibid, p10).

5- عرض النتائج:

جدول رقم (2) النتائج المتحصل عليها.

الخصائص	الرقم	الحالات	الاندماج	الكف	التجنّب	تعبير انفعالي	حركة
			I	H	EC	A	C
حسام	01		06	10	04	10	16
عادل	02		00	20	00	03	19
علي	03		00	14	06	00	15

17	01	04	16	00	أمين	04
18	05	00	15	05	منير	05
19	07	00	16	04	رامي	06
20	05	01	15	04	فانح	07
18	06	03	15	02	إسحاق	08
17	07	02	16	02	إسماعيل	09
19	07	00	19	01	فريد	10

6- مناقشة وتفسير النتائج

انطلاقاً من النتائج المتحصل عليها من الحالات العشرة توصلنا إلى ما يلي:
 أولاً:

أنّ جميع الحالات تميّزت ببروفيل نفسي اجتماعي من نمط الكفّ (H) حيث كانت النقاط مرتفعة والتي تراوحت ما بين (10 و 20 نقطة) وهذا يعني عدم قدرتهم على التعبير عن الحياة النفسية الداخلية من وجدانات وهومات وتصورات، وظهر ذلك من خلال استجابات المبحوثين التي تميّزت بالاختصار والافتقار إلى التعابير الإنفعالية والهومات وكثرة الصّمت مع التوقعات الكلامية أثناء السّرد، نذكر على سبيل المثال إجابة إسماعيل في اللوحة (7EA): "... زوج راهم يضاربو..."، وكذا إجابة فاتح في اللوحة (18AI): "... هذا سوق ... يبيعون فيه..." .

ثانياً:

أظهرت جميع الحالات عدم القدرة على الاندماج الاجتماعي حيث تراوحت نقاطهم ما بين (1 و 6) والتي تعني عدم تمكّنهم من تكوين علاقات متّزنة وسليمة تساعد على التكيف، حيث ظهر هذا على شكل اضطراب في العلاقات على جميع المستويات، سواءً تعلق الأمر بالوالدين أم بالعائلة، الزملاء... إلى غير ذلك، وقد تبين ذلك من خلال الاختبار (TSEA) كما يلي:

● أظهرت لوحات الاختبار (18 AI, 19A, 15AI, 12EAI, 7EA, 5EA, 1EI) التي تبعث إلى علاقة المبحوث بمحيطه أو بمجموعة من الأطفال، أنّ الحالات تعاني من عدم الأمان الذي أدّى بهم إلى تشديد الحدود مع الآخرين، وذلك من خلال عزلهم عن بعضهم البعض، نذكر على سبيل المثال إجابة عادل في اللوحة (15AI): "... راهم فالمسيد ... راهم فالساحة ... كايين لي راهو قاعد... كل واحد واش راهو يدير..." بالإضافة إلى إجابة علي في اللوحة (18AI): "... هذا مارشي... هذايا راهو يخزر في هاذو الزوج ... أو هاذي الحاجة راهي قاعدة ... أو هذا راهو يبيع... أو هنا كايين الورد... خلاص"

● تمّ التوصل إلى أنّ معظم الحالات لديها صعوبة في الاندماج مع العائلة حيث أظهرت معاناة واضطرابات علائقية بين أفراد العائلة لذلك تمّت الاستجابة لطبيعة هذه العلاقة

إمّا بالكفّ أو بالتجنّب، وهكذا تراوحت الاستجابات في المقابلة بين رفض الحديث عن العائلة أو بعض أفرادها، أو بإعطاء الحديث طابع سطحي، أو من خلال التكلّم عن الأهل بعدائيّة، حيث ظهر ذلك في كلّ من اللوحات (4EA, 9E, 10E, 6E, 20A) التي تبعث إلى العلاقة بين أفراد العائلة أين أبدت الحالات صلابة في التفكير جعلتهم يتمسّكون بالمحتوى الظاهر للوحات نذكر على سبيل المثال إجابة حسام في اللوحة (6E): "... هاذي طفلة شافت الجدة قاعدة ... هاذو كتابات... "، وكانت إجابة أمين في اللوحة (4EA) كمايلي: "... كاين مائدة فيها طعام وأبناء جالسون يتناولون الغذاء، راهم كامل ياكلو..." بينما رامي فقد أظهر عدوانية في اللوحة (10E): "...طفلة شافت خوها الصغير ... راحت عندو باش تضربو..." أمّا بعض الحالات المتمثلة في كلّ من (فاتح، أمين، إسماعيل، علي) فقد تجنّبوا الصراع برفض إعطاء استجابة وهذا في اللوحة (9E)، وبذلك اختصروا الاستجابة بكلمة "منعرفش".

• يتبيّن لنا أنّ معظم الحالات تعاني من اختلال في التوازن العلائقي مع الأمّ، وظهر ذلك من خلال السلوك العدواني مع الأمّهات عند غالبية الحالات، وتمّ إثبات ذلك بنتائج الاختبار حيث تمّ التوصل إلى أنّ معظمهم لم يستطيعوا حلّ الصراع بوسائل دفاعيّة فعّالة، وهذا يدلّ على فقر دفاعات الأنا، في اللوحات (3EA, 13A, 8EA, 11EA) مثل إجابة رامي في اللوحة (11EA): "...يمّات هاذ الطفلة راهي تعيط عليها أو تضربها...أو لخر ماراهيش دايرتها فالبال " أمّا بعض الحالات مثل إسحاق، فاتح، أمين فقد استجابوا لهذه اللوحات بتجنّب الصراع، حيث تراوحت استجاباتهم بين رفض إعطاء خطاب وبين تعبير خارج عن السياق، نذكر مثلا إجابة فاتح التي كانت خارجة عن السياق في اللوحة (11EA): "...هاذان البنّتان يتخاصمان بالكلام لأنّهما كانتا يقولان من الأجمل بيننا أنا أم أنت...حتى بدأ العراك بينهم..."

• تمّ التوصل إلى أنّ كلّ من فاتح، إسماعيل، منير لديهم قدرة على البقاء في عزلة عن الآخرين، أي إمكانية البقاء بمفردهم، وظهر ذلك من خلال المقابلة العياديّة أين أبدى المبحوثين رغبة في الانعزال عن الآخرين، وانطبق هذا مع اختبار (TSEA) في اللوحات (16A, 2EA) التي تبعث إلى إمكانية الفرد على البقاء منفردا وإنهاء واجب معين، حيث ظهرت تصوراتهم جيّدة من خلال خطابهم الذي تراوح بين الرقابة وفسح المجال للهوامات لكي تخرج لمنطقة الشعور، نذكر إجابة منير في اللوحة (16A): "... الأمّ راهي في دارها تتفرج في الحديقة في الشجر، تسمع في البوسط ...كاين النار شاعلة... مرّة تاكل أو مرّة تسمع الغناء ...راهي قاعدة وحدها فرحانة...راهي تتنزه... ". أمّا فيما يخصّ باقي الحالات فقد

تميّزت استجاباتها لهذه الوضعية بطابع الكفّ، حيث أنها لا تجد تسوية مناسبة للصراع. نجد مثلاً إجابة علي التي كان فيها تمسك بالمحتوى الظاهري للوحة (2EA) "...راهو يقرأ...يقرا فوق الطابطة..."

● استجاب جميع المبحوثين بالكفّ ولم يظهروا قدرة على الاندماج فيما يتعلّق بطبيعة العلاقة بالجنس المغاير، حيث تبين من خلال اللوحات (17AI, 14A) أنّ معظم الحالات غير قادرة على تنشيط التقارب النزوي إلا على شكل علاقة شئيّة خالية من أي معنى مثل إجابة عادل في اللوحة (14A): "...طفلة أو ولد راهم يمشيو..."

ثالثاً:

ظهور التعبير الوجداني في معظم الحالات ولكن بشكل سطحي ظهر على شكل بكاء، غيرة، قلق. كما تمّ اللجوء إلى التفريغ السلوكي بدلاً منه أين كانت النقاط مرتفعة والتي تراوحت ما بين (15 و20 نقطة).

رابعاً:

لم تسجّل أية حالة بروفيل نفسي اجتماعي من نمط التجنّب الذي يعني عدم القدرة على مواجهة الوضعيات الاجتماعية وحلّ المشكل، حيث أنّنا تحصّلنا على هذا الدفاع سوى في بعض اللوحات، وعند بعض الحالات فقط، حيث تراوحت النقاط ما بين (1 و6 نقاط).

و بناءً على هذه النتائج التي تمّ التوصل إليها يتبيّن لنا أنّ جميع الحالات أظهرت بروفيل نفسي اجتماعي من نمط الكف الذي يعني عدم قدرتهم على الدفاع وحل الصراع في الوضعيات الاجتماعية المختلفة، كما أنّهم لم يستطيعوا تجنبها بسبب ضعف فعالية الأنا، بالإضافة إلى ذلك فقد أظهرت هذه المجموعة عدم القدرة على الاندماج في تلك الوضعيات الاجتماعية نظراً لعجزهم عن تكوين علاقات متزنة حيث ظهر الاندماج في بعض اللوحات فقط. وعلى العموم يمكن حصر الخصائص النفسية المتعلقة بهذا البر وفيل فيما يلي:

● عدم القدرة على التعبير عن الحياة النفسية الداخلية.

● الافتقار إلى التعابير الانفعالية واللجوء إلى التعبير السلوكي.

● فقر في الهوامات.

● فقر في التصورات.

● صلابة في التفكير.

● اختلال في التوازن العلائقي خاصة مع الأم.

● اضطراب في العلاقات على جميع المستويات.

• العجز في تنشيط التقارب النزوي للجنس المغاير.

• عدوانية.

ومما سبق يتبين لنا أنّ الفرضية الجزئية الأولى المتمثلة في : " نتوقع أن يظهر الطّفل الجزائري المنحرف خاصية الدّفاع عن طريق تجنّب الوضعيات الاجتماعية " لم تتحقّق، أمّا الفرضيتين الجزئيتين الثانية والثالثة فقد تحقّقتا وهما تنصّان على ما يلي:

• الفرضية الجزئية الثانية: نتوقع أن يظهر الطفل الجزائري المنحرف خاصية عدم القدرة على الدّفاع في الوضعيات الاجتماعية.

• الفرضية الجزئية الثالثة: نتوقع أن يظهر الطفل الجزائري المنحرف خاصية صعوبة اندماجه في الوضعيات الاجتماعية.

وهذه النتائج تكمل عدّة دراسات منها:

❖ دراسة الباحث بيرون (R. Perron) الذي توصّل إلى أنّ حالات اللاتكّيّف التي تلاحظ على المستوى السلوكي، تدلّ على خلل في التوازن الداخلي، الذي يعتبر المسبّب الأكثر بروزا في ظهور هذه الحالة (بيرون، 1996)

❖ دراسة الباحث إيكهورن (A. Aichorn) الذي توصّل إلى أنّ الصراع النفسي بسبب العجز عن التوفيق بين الرغبات اللاشعورية والواقع، بالإضافة إلى الحرمان العاطفي والقسوة في المعاملة، الإحساس اللاشعوري بالذنب، مشاعر النقص والدونية، تعتبر من أهمّ العمليات النفسية التي تؤدي إلى سلوكات انحرافية (Balier.c, 2003).

خاتمة:

يتبين لنا مما سبق أنّ انحراف الأطفال يبدأ عند عدم تمكّنهم من إشباع رغباتهم الملحة، وحاجاتهم الضرورية كالحاجة إلى الأمن، العاطفة، الحرية، أين يتكوّن لديهم أنا يفتقر للدفاعات وبالتالي يُظهرون عدم القدرة على حلّ الصراعات ومواجهة الصعوبات التي يصادفونها في مختلف الوضعيات الاجتماعية، ومن ثمّ يلجأون لتحقيق رغباتهم بأساليب قد تكون غير مألوفة لدى الجماعة، إلّا أنّه من الممكن الحدّ من هذه السلوك المنحرف من خلال اتخاذ تدابير الوقاية من جهة والتدخل العلاجي النفسي من جهة أخرى.

التوصيات والبحوث المقترحة:

ما أسفرت عليه الدراسة الحالية يُرسّخ لدينا الاعتقاد بأنّ هذه الفئة من الأطفال تحتاج إلى رعاية نفسية واجتماعية خاصة، لذلك نتطلّع إلى أن يتمّ الاهتمام بالنتائج المتوصل إليها في هذا

البحث من طرف باحثين آخرين من أجل تصميم برامج إعادة التربية وإعادة التأهيل تتناسب مع احتياجاتهم النفسية، كما ارتأينا تقديم بعض الاقتراحات الأخرى والمتمثلة في:

- ❖ توسيع عينة البحث من طرف باحثين آخرين.
- ❖ دراسة مقارنة بين الإناث والذكور.
- ❖ دراسة القدرات المعرفية عند الأطفال المنحرفين.
- ❖ دراسة تقدير الذات عند الأطفال المنحرفين.
- ❖ دور مراكز إعادة التربية في تحقيق التوافق النفسي الاجتماعي عند الأطفال المنحرفين.
- ❖ دراسة التصورات الوالدية عند الطفل المنحرف.

المراجع:

1. اجلال، محمد . (2003) . الأمراض النفسية والاجتماعية (الطبعة الأولى). القاهرة: عالم الكتب للطباعة والنشر .
2. بوفولة، بوخميس . (2010). الانحراف مقارنة نفسية واجتماعية (الطبعة الأولى) . المكتبة العصرية للنشر والتوزيع.
3. بيرون.(1996). الأطفال وعدم التكيف (شاهين، مترجما). بيروت: منشورات عويدات.
4. جلال الدين، عبد الخالق. (1999). الجريمة والانحراف، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية .
5. حسان ، حسن.(1986). دور الحضارة ورياض الأطفال في المملكة العربية السعودية. رسالة الخليج العربي، العدد 20، ص 65- 83 .
6. السيد، عبد الرحمان . (2001). نظريات النمو، علم النفس النمو المتقدم (الطبعة الأولى) القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.
7. السيد، نيفين صابر عبد الحكيم.(2009). ممارسة العلاج النفسي السلوكي المعرفي في خدمة الفرد لتعديل السلوك اللاتوافقي للأطفال المعرضين للانحراف. مجلة كلية الآداب بجامعة حلوان، العدد 26، ص 691-711.
8. عبد السلام، علي.(1993). إبداع الأبناء غير الجانحين مؤسسات الأحداث وعلاقته بتكوين الاتجاهات الجانحة لديهم. مجلة علم النفس، العدد 26، ص 53- 76.
9. عبد المعطي، حسن،، قناوي، هدى . (2001). النمو النفسي الاجتماعي وتشكيل الهوية (الطبعة الأولى). مصر: مكتبة إهداء الشرق للنشر.
10. مصباح، عامر.(2003). التنشئة الاجتماعية والسلوك الانحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية (الطبعة الأولى). دار الأمة للطباعة والنشر.
11. معوض، عبد التواب.(1997). شرح قانون الاحداث. الاسكندرية: دار المطبوعات الجامعية.
12. ميللر، باتريشيا. (2005). نظريات النمو (الطبعة الأولى). (عوض الله السّام، مترجما). عمان: دار الفكر.

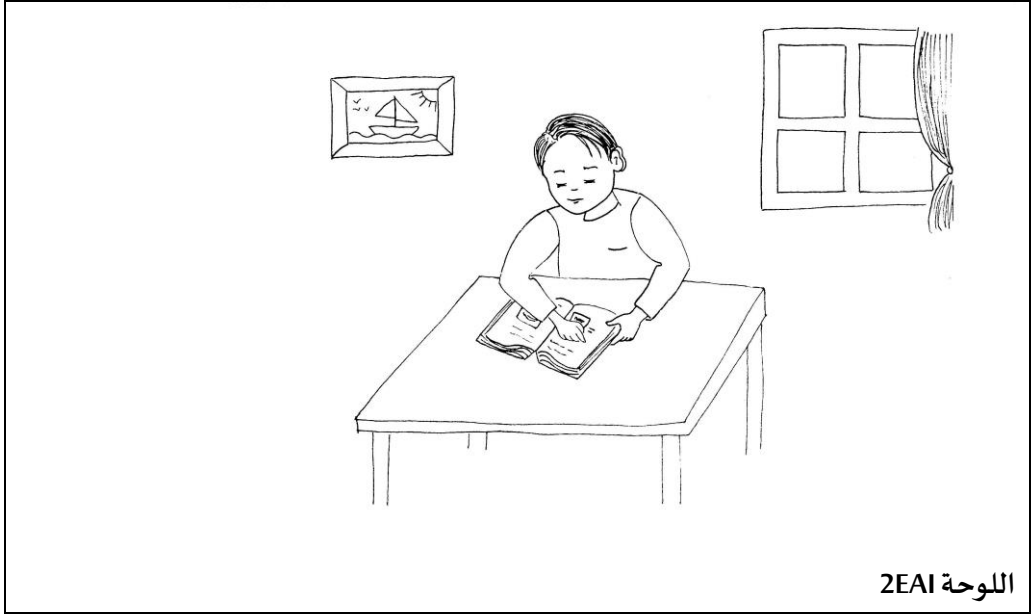
13. هنري وماير .(1981). ثلاث نظريات في نمو الطفل . محمد قناوي، مترجما. القاهرة: المكتبة الأنكلوسكسونية.

14. Balier ,C . (2003). psychanalyse de comportement violent(6^{eme} Ed).Paris : PUF

15. Hanigan,P. (1997) .La jeunesse en difficulté. Presse de l'université de Quebec.

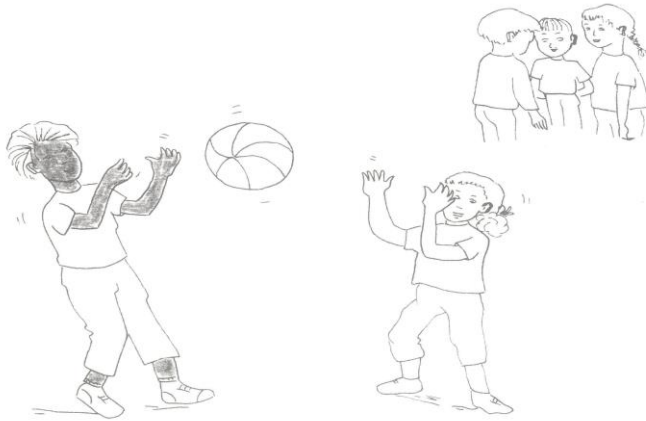
16. Matar,V., Tauma et Virol,B.(2008).Manuel TSEA . Paris : ECP.

17. Postel,J. (1998). Dictionnaire de psychiatrie et de psychopathologie clinique,Larous. Paris : Bordas .



اللوحة 2EAI

18. Smirnoff,V . (1968) .La psychanalyse des enfants. Paris : PUF .



اللوحة 5EA

المصدر: (Matar.V.Tauma et B , Virol,2008 p10)

إدماج (I) المخيطير العام: IAG1- قصة متناسقة مع محتويات غنية بتفاصيل لها معنى. IAG2- الوصف مع التعلق بالتفاصيل. IAG3- سرد مرصن. IAG4- سرد طويل نوعاً ما. مظاهر مميزة: IAS1- إدماج مصادر اجتماعية. IAS2- إدماج مصادر ثقافية. IAS3- تحديد هوية الأفراد (تسمية، إعطاء هيئة). IAS4- توزيع أدوار. IAS5- التعرف على الإطار. مظاهر تواصلية: IAC1- تفاعل بين مختلف الأفراد (حركة، تبادل...). IAC2- حوار، تبادل لفظي. IAC3- حوار، تبادل بالإشارات. IAC4- تعبيرات وجهية مملوءة بالانفعالات (إيماءات، ضحك...). IAC5- اتصال، لمس.	الكف (H) المخيطير العام: HAG1- قصة قريبة من الموضوع المبثقل. HAG2- وصف مختصر. HAG3- سرد قصير. HAG4- سرد فقير من حيث المحتوى والتفاصيل. مظاهر مميزة: HAS1- عدم إدراك جزء من اللوحة. HAS2- عدم إدراك شخصيات أساسية (الذي يمثل المحصور) أو إدراك شخصيات أخرى. HAS3- عدم تحديد هوية الأفراد. HAS4- عدم تحديد الأدوار والوضعيات. HAS5- غياب الإطار. مظاهر تواصلية: HAC1- حوار سطحي (معتم). HAC2- إنعدام الربط بين مختلف الأشخاص (عدم وجود تبادل...). HAC3- غياب الفعل (لا توجد حركة). HAC4- غياب الحوار (اللفظي أو عن طريق الإشارات). HAC5- غياب التعبيرات الوجهية والانفعالية. HAC6- اللامبالاة بالآخر.	تجنب الصراع (EC) المحتوى: C1- خلط في البوئات. C2- تجاوز الوضعية أو الفعل. C3- إضافة شخصيات غير موجودة في اللوحة. C4- قصة خارجة عن السياق(تخريف) أو محتوى يخلو من قصة. C5- مبالغة. C6- تردد في التفسيرات المتعلقة بأدوار ووضعية الشخصيات... C7- إدراك تفاصيل نادرة على حساب تفاصيل أخرى أكثر أهمية. C8- تفاعلات عرضية بين الشخصيات. موقف الانسحاب/البروب E1- إثارة حركية(حركة المحصور في مكانه) القيام وليس الأشياء، التوجه نحو الباب... E2- نظرة خاطفة، غياب التركيز. E3- إيماءات (تعبيرات وجهية). E4- تفكير متعلق بالوضعية. E5- تفكير متعلق بالأداة (نقد، رأي). E6- تهكم، سخرية. E7- إندهاش. E8- أسئلة متعلقة بالأداة E9- أسئلة مطروحة على الأخصائي (خارجة عن الموضوع). E10- ابتزاز (يضع شروط للأخصائي) E11- رفض المواصله. E12- رفض بعض اللوحات.
---	--	--